الإطناب في الحديث النبوي الشريف

Redundancy in prophetic Hadith

د/ أسماء بلهبري *

المركز الجامعي –مغنية–

belhaasma23@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/10 تاريخ القبول 2023/04/29 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص:

تحاول هذه الدّراسة الكشف عن أسلوب الإطناب في الأحاديث النّبوية؛ والإطناب أسلوب تعبير معروف استعمله العرب في فصيح شعرهم وطوال خطبهم فأحسنوا فيه وأساءوا؛ ولما كان النّبي عليه الصّلاة والسّلام سيّد الفصحاء فقد ورد هذا الأسلوب في أحاديثه الشّريفة جاعلا منه وسيلة لإرشاد الأمّة ونشر الدّعوة وتبليغ مبادئ الدّين الحنيف؛ فأطنب في عباراته مكرّرا أو مفصّلا لما أجمل أو موضّحا لما أبهم. فبدت جماليات هذا الأسلوب جليّة واضحة من خلال تحليل النّصوص النّبوية ذلك أن أفضل الكلام أبينه وأبينه أشدّه إحاطة بالمعاني ولا يكون ذلك إلا بأسلوب الإطناب.

الكلمات المفتاحية: الإطناب؛ الحديث النّبوي الشّريف؛ الإيضاح؛ التذييل؛ التكرار؛ الاعتراض.

Abstract:

This study attempts to reveal the method of rhetoric in the hadiths of the Prophet, and the rhetoric is a well-known method of expression that the Arabs used in the eloquence of their poetry and throughout their sermons, so they were good and bad in it.and since the prophet, peace, and blessings be upon him, was the master of the eloquent, this method was mentioned in his honorable hadiths, making him a means to guide

* المؤلف المراسل

the nation, spread the call, and communicate the principles of the true religion.So he exaggerates in his phrases repeated or detailed for what is more beautiful or explaining what is opaque. The aesthetics of this method became evident through the analysis of the prophetic texts, because the best speech is the clearest and most comprehensive of meanings, and this is only in the manner of rhetoric.

***key words**:* Redundancy; A prophetic hadith; Clarification; footer; Repetition; Objection.

مقدّمة:

تعتبر البلاغة النبوية–بعد القرآن الكريم– ذروة ما انتهى إليه كلام العرب روعة وإشراقا، تتنزّه عن الاختصار مع الحاجة، والتطويل بدون طائل توفيقا من الله، «إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يُقادون من ألسنتهم ولهم المقامات في البيان والفصاحة».[1] وهذه البلاغة والبيان التي اتّصف بها كلامه صلى الله عليه وسلم، والذي يحقق التأثير الذي أساسه التّعبير والبيان، «فالبيان لا يكون إلا بالإشباع، والإشباع لا يقع إلا بالإقناع، فأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشدّه إحاطة بالمعنى، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامّة إلاّ بالاستقصاء والإطناب».[2]

يعد الإطناب فرع مهمّ من فروع علم المعاني، ويعني في اللّغة: المبالغة والزيادة، يقال أطنب في الكلام أو الوصف أو الأمر: بالغ فيه وأكثر منه.

تكمن أهمية هذا البحث في كشف ظاهرة من ظواهر البلاغة النّبوية التي فاقت الكلام البشري، وهذه الظّاهرة هي ظاهرة الإطناب في النّص النّبوي، وأسباب زيادة اللّفظ على المعنى وما تؤدّيه من أغراض بيانية، من هذا المنطلق يمكن أن نسوق الإشكاليات بالطريقة الآتية محاولة الإجابة على بعض الأسئلة:

ما الإطناب في اللّغة العربية؟ وما هي أسبابه ودواعيه؟

وإلى أيّ مدى وظّف نبيّ الأمّة هذا الأسلوب، وما هي الصّور التي ظهر بها، والأغراض البلاغية ومواطن الجمال التي تفرّد بها النص الحديثي؟

يقوم منهج هذه الدّراسة على الوصف والتّحليل، حيث توصف ظاهرة الإطناب في النّصوص المختارة التي ترد في الحديث النّبوي الشّريف؛ ولما كانت الغاية من الدراسة كشف بلاغة النص الحديثي، كان التّحليل هو السّبيل لتحقيق هذه الغاية الذي يكشف عن أثر ظاهرة الإطناب في جمال العبارة وفي ثراء الدّلالة.

1-مفهوم الإطناب:

1/2 لغة:

هو البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو ذمّا، وأطنب في الكلام: بالغ فيه، «والإطناب المبالغة في مدح أو ذمّ والإكثار فيه»[3].

2/2 اصطلاحا:

عرّفه ابن الأثير(630هـ) «بأنّه زيادة اللّفظ على المعنى لفائدة».[4]

فهو زيادة اللّفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد، والإطناب يهدف إلى البلاغة مثله مثل الإيجاز «فالبلاغة الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل»[5]،الذي ألحقه بعض العلماء بالتطويل، «فالإطناب بلاغة والتطويل عِيّ، لأنّ التّطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نَزِه يحتوي على زيادة فائدة.»[6]

وقد عرّف صاحب التّلخيص الإطناب، بأنه أداء المقصود بأكثر من عبارة المتعارف.[7]

وعدّ الإمام يحي العلوي الإطناب نوعا من البيان كثير المحاسن، واسع الخطو، لطائفه بديعة، ومداخله دقيقة.

3. دواعـيه:

يتّخذ الإطناب طرقا ومسارات عديدة من أجل الوصول إلى عرض المعنى بصور مختلفة، فكل طريقة إنّما تتوارى خلفها مقصدية ذهنية تضيف إلى المعنى الأوّل بعدا جديدا وترسخ من فاعلية المعنى الأوّل بالدّلالة الأولى[8].

ومن دواعي الإطناب: تثبيت المعنى في نفس المخاطب، وذلك عند اقتضاء المقام ذلك التّثبيت؛ لكون المعنى مما ينبغي أن يُملأ به القلب لرغبة أم رهبة أم نحو ذلك. وكذا توضيح المراد والتّوكيد ودفع الإيهام عند اقتضاء المقام ذلك. إنّه استجابات لحالات نفسية، ومراعاة لمقتضى الحال.

والإطناب يأتي في الكلام على أنواع مختلفة لأغراض بلاغية منها: الإيضاح بعد الإبهام، وذكر الخاص بعد العام وعكسه، والتكرار، والتوشيع، والاعتراض، والتّذييل والاحتراس وغيره.[9] وقد جاء في القرآن الكريم وفصيح الشّعر.

1.3.الإيضاح بعد الإبهام:

أي: توضيح ما كان مبهما كأن «يبدو المعنى في صورتين مختلفتين إحداهما مبهمة، والأخرى موضّحة، فيزداد بذلك تقريرا وتمكّنا في النّفس، وتكمل لذّة العلم به ويفخم الأمر في ذهن السامع، ويعظم إذا كان المقام يقتضي هذا التفخيم والتعظيم»[10].

وقد ورد هذا النوع في الحديث النبوي الشريف ماثلا في قوله صلى الله عليه وسلم: «**أُحِلَّتْ لنا ميتتانِ ودَمَانِ، فأمّا الميتَتانِ فالجَرادُ والحوتُ، وأمّا الدَّمانِ فالطّحالُ والكَبِدُ**».[11]

في هذا الحديث يستثني نبي الهدى عليه الصلاة والسلام ميتتين ودميْن، وأكل الميتة والدم حرام بالنص القرآنيّ: ﴿**إنّما حَرَّمَ عليْكُمْ المَيْتَةَ والدّمَ**﴾ البقرة:173.

وهذا الإبهام في قوله: «أُحِلَّت لَنا ميتَتانِ ودَمانِ» تشدّ انتباه المتلقّي المسلم وتشوّقه لمعرفة الميتة الحلال والدّم الحلال، بعدما حرّم القرآن أكل الحيوانات الميّتة والدّم بشكل قطعي، تأتي السنّة النبوية مُفسِّرة وموضِّحة في هذا الحديث أنّه يجوز أكل حيوانان هما السّمك والجراد، والدّمان المحلّلان هما الكبد والطّحال؛ فالحديث النّبوي كان مبهما مجملا شوّق المستمع لمعرفة حدود دينه، وقد أكّد **القزويني**(682هـ)أنّ المعنى إذا ألقاه المتكلّم على سبيل الإجمال والإبهام، تشوّقت النّفس إلى معرفته على سبيل التّفصيل و الإيضاح

فتتوجّه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقي كذلك تمكّن فيها فضل تمكّن وكان شعورها بها أتمّ.[12]

وفي حديث آخر يحذّر فيه عليه السلام أمّته من صنفين من الناس مصيرهما جهنّم: «**صِنْفانِ من أهْلِ النّارِ لمْ أرَهما: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبونَ النّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُميلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البَخْتِ المائِلَةِ، لايَدْخُلْنَ الجَنّةَ ولا يَجِدنَ ريحَها، وَإنَّ ريحَها لتوجدُ من مسيرةٍ كذا وكذا**».[13]

هذا الحديث من معجزات النّبي وعلامات نبوّته لأنها من عالم الغيب، يتحدّث في مقدّمته عن صنفين من أهل النّار لم يكونا من زمانه، فجاء الكلام مُجملا مُبهما، ثم وضّح وفصّل-عليه السلام-ما المقصود بـ (صنفان من أهل النار..)، والغرض هنا شدّ الانتباه والتّشويق من السّامع لمعرفة هذين الصّنفين، ولماذا استحقا هذا العذاب، فأراد التّحذير منها بطريقة التّشويق والإيضاح، فيعرض حكم هذين الصّنفين اللّذين لم يرهما، يعني لم يكونا في زمنه، مقرّهما النار وملاذهما جهنّم.

الصّنف الأوّل: الظّلَمة يضربون أجساد النّاس وأفكارهم لا بحق ولكن بباطل أو تحويل عن عقيدة؛ وصنف آخر هم النّساء الكاسيات العاريات «يسترن بدنهنّ ويكشفن بعضه إظهارا لجمالهنّ؛ وقيل يلبسن ثوبا رقيقا يصف بدنهنّ، وإن كنّ كاسيات للثّياب عاريات في الحقيقة»[14]، لا يدخلن الجنّة ولا يجدن ريحها، والجملة (لا يجدن ريحها) توكيد على عدم دخولهنّ الجنّة، والكناية أبلغ في التّعبير من التّصريح، وأثبت في الذّهن السّامع، وآكد للمعنى لديه، (وإنّ ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا)، حيث هناك شساعة المسافة بين الجنّة وبين من حرمن رائحتها.

ومن الإيضاح بعد الإبهام ما يطلق عليه مصطلح التّوشيع، وهو أن يأتي في عجز الكلام[15] بمثنّى مفسّر باسمين أحدهما معطوف على الآخر كما جاء في الأثر: «**اللّهُمَ إنّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضّعيفَينِ: اليتيم والمرأةِ**».[16]

يوصي نبي الرحمة في هذا الحديث المسلمين بالضّعفاء من النّاس، فهو يحرّج عليهم أي يُضيّق على النّاس في تضييع حقّهم، ويشدّد عليهم في ذلك ويحذّرهم من ظلم الضّعيفين، فهما اللّذان لا حول لهما، ولا قوّة، ولا ينتصران لأنفسهما؛ ووصفهما بالضّعف استعطافا وزيادة في التّحذير. وأوّل الضّعيفين: اليتيم وهو الذي فقد أباه صغيرا ففقد الحماية والسّند، والمرأة ضعفها في جسدها؛ وعلى الرّجل حفظ حقوقها ورعايتها، فالتّوشيع جاء في المثنى في آخر الكلام(الضعيفين) مفسّرا باسمين (اليتيم والمرأة).

وقد يأتي التّوشيع جمعا لا مثنّى مثل قوله صلى الله عليه وسلم يحثّ فيه شباب المسلمين على الزّواج بذات الدّين والخلق قائلا: «**تُنْكَحُ المرْأَةُ لأرْبعٍ: لِمالِها ولِجَمالِها ولِحَسَبِها ولِدينِها، فاظْفَر بذاتِ الدّينِ تَرِبَتْ يَداكَ**»[17].

والصحيح في معنى هذا الحديث أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم أخبر بما يفعله الناس في العادة، فإنّهم يقصدون هذه الخصال الأربع (ذات الجمال، وذات الحسب، وذات المال)، وآخرها عندهم ذات الدّين؛ فاظفر أنت أيّها الرّاشد بذات الدّين.

ورد التّوشيع في كلمة تُنكح المرأة (لأربع) ووضّحه صلى الله عليه وسلم، وأزال إبهامه لدى السّامع بذكر الخصال الأربع؛ فالإطناب هنا جاء بصورة التّوشيع حيث ذكر العدد، ثمّ جاء بذكر تفاصيله (لجمالها وحسبها...).

2.3. ذكر الخاص بعد العام:

والغاية من مجيء الخاص بعد العام إظهار مزية في الخاص تظهره وكأنّه جنس قائم بذاته، كما ذكر صاحب الإيضاح أنّه «يذكر الخاص بعد العام للتّنبيه على فضله حتى كأنّه ليس من جنسه تنزيلا للتّغاير في الوصف منزلة التّغاير في الذّات»[18].

ومن مظاهر هذا النّوع في الحديث النّبوي الشّريف قوله صلى الله عليه وسلّم: «**اللّهم اغْفِرْ لي خَطايايَ و عَمْدي..**[19]».

كان النّبي كثير التّوجه إلى ربّه بالدّعاء والاستغفار، ومن أدعية النبي ما جاء في هذا الحديث متضرّعا لله سبحانه قائلا: اغفرلي خطاياي، جمع خطيئة وهو الذّنب عن عمد

وإصرار وعطف العمد عليها من عطف الخاص على العام، فإنّ الخطيئة أعمّ أ ن تكون على خطأ أو عمد، وذلك حتى ينبّه على فضل الخاص حتى كأنّه ليس من جنس العام[20].

3.3.التّذييل:

هو تعقيب جملة بجملة أخرى، متّفقة معها في المعنى تأكيدا للجملة؛ فهو عند البلاغيين[21]أن يذيّل الناظم أو النّاثر كلامه بعد تمامه بجملة تحقّق ما قبلها فتزيده توكيدا، وينقسم هذا النّوع إلى قسمين:

* **الأوّل**: التّذييل الجاري مجرى المثل: وهو أن يفيد معنى يمكن أن يرد مستقلاّ، ومن أمثلته في نظرهم قوله تعالى: ﴿**وقُلْ جاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنّ الباطِلَ كان زَهوقا**﴾ الإسراء:81، فجملة (إن الباطل كان زهوقا) تعقيب على الجملة السابقة تشتمل على معناها توكيدا لها، وهي في الوقت ذاته مستقلّة بمعناها[22].
* **الثاني**: تذييل غير جاري مجرى المثل، وهو الكلام الذي لا يستقلّ بمعناه عمّا قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد؛ ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**ذلك جَزَيْناهُم بِما كَفَروا وهل نُجازي إلاَّ الكَفورَ**﴾ سورة سبأ الآية: 17، فقوله تعالى:﴿ **وهل نجازي إلاّ الكَفورَ** ﴾ تذييل لقوله:﴿ **ذلك جزيناهم**﴾ [23].

وقد جاء عنه صلّى الله عليه وسلّم من هذا الباب قوله: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ ولمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وإن عملها كُتِبَتْ له عَشْرًا، منْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ ولمْ يَعْمَلْها لمْ تُكتَبْ عليهِ، فإنْ عَمِلها كُتِبتْ عليهِ سَيِّئةٌ واحدة، ولا يَهْلِكُ على اللهِ هالِكٌ**»[24].

في هذا الحديث القدسي يبيّن فيه الرسول فضل الله على هذه الأمّة، إذ لولا هذا الفضل لكانت جهنّم مأوى معظم النّاس، لأنّ عمل النّاس للسّيئات أكثر. فمن همّ بفعل حسنة أي عزم، ويعلم الله أنّه أشعر بها قلبه وحرص عليها، ولكنّه لم يعملها، كتبها الله حسنة كاملة؛ ويشير النّووي[25](676هـ) بقوله:(كاملة) للتأكيد وشدة الاعتناء بها،

وقال في السّيئة: همّ بها ثمّ تركها(كتبها الله عنده حسنة) فأكّدها بكاملة، وإن عملها (كتبها سيئة واحدة) ، فأكّد تقليلها بواحدة، ولم يؤكّدها بكاملة فضلا من الله ومنّة، (ولا يهلك على الله إلاّ هالك) تذييل في غاية الحسن، خرج الكلام فيه مخرج المثل[26].

4.3.التكرار:

التكرار إعادة ذكر اللفظة أو الجملة مرتين أو أكثر لفائدة، والتّكرار لا يقوم على مجرد تكرار اللّفظة في السّياق؛ وإنّما ما تتركه هذه اللّفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقّي. ويرى ابن الأثير[27] أنّ التّكرار قسمان، أحدهما يوجد في اللّفظ والمعنى (أسْرِعْ أسْرِعْ)، والآخر في المعنى دون اللّفظ (أطِعْني ولا تَعْصَني).

وقد وُظِّف التّكرار في الأحاديث النّبوية لتأكيد وتقرير المعنى في نفوس المخاطبين؛ فالشيء إذا تكرّر رسخ في الأذهان؛ ومن صور التّكرار في حديثه صلى الله عليه وسلم: **«ألا أُنَبِّئُكمْ بِأَكْبَرِ الكَبائِرِ، ألا أُنَبِّئُكمْ بِأَكْبَرِ الكَبائِرِ، قلنا: بَلى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: الإِشْراكُ باللهِ، وعُقوقُ الوالِدَيْنِ، وشهادَةُ الزّورِ–أو قَوْلُ الزّورِ– وكان الرّسولِ مُتَّكِئا، فجلسَ فما زالَ يُكَرِّرها حتى قلنا: ليته يسْكُت»**[28]،هذا الحديث بدأه صلى الله عليه وسلم بالعرض على الصّحابة، ف(ألا) أداة عرض استفتاح، استفتح بها الرسول الكريم قائلا: ألا أنبّئكم، والنّبأ غير الخبر، فالنّبأ لا يكون إلاّ فيما هو عظيم.

فحينما يقول صلى الله عليه وسلم بادئا ب(ألا الاستفتاحية)، وألا الاستفتاحية تنبّه الصّحابة أن يفتحوا قلوبهم وأن يستعدّوا وأن يُنشِطوا أذهانهم ليتلقوا أمرا عظيما، ثمّ يأتي نبيّنا بعد(ألا)، بالفعل(أنبئ) الذي هو يدلّ على عظمة وخطر ما سيأتي بعده، يعدّ تحفيز للصّحابة حتّى يستعدّوا تماما لأنّه على قدر الإمداد يكون الاستعداد. فبناء الحديث في بدايته بهذا المطلع المخيف يدلّ على أنّ النّبي يستخدم كل أدوات الإثارة وأدوات التّشويق حتّى إذا ألقى الكلام بعد ذلك قعد من القلب والعقل مقعدا ثابتا، لا يتزعزع (ألا أنبئكم)، ثمّ يتصاعد قول النّبي بقوله: بأكبر الكبائر، ممّا يجعل الصّحابة على أتمّ استعداد للطّاعة والعمل بما يأمر بنطقهم جميعا (بلى يا رسول الله) ما دام الأمر بهذا

الخطر. فقال النّبي صلى الله عليه وسلم: الإشراك بالله، أي أكبر الكبائر الإشراك. إنّ الله لا يغفر أن يشرك به، ومن أكبر الكبائر بعد الإشراك عقوق الوالدين، ثمّ يذكر راوي الحديث أنّ الرسول غيّر حالته بعدما كان متّكئا، والاتّكاء الاسترخاء، فجلس ومعنى هذه الحركة أنّ ما سيقوله خطير، وهو شهادة الزّور وقول الزّور، وكرّرها مرات عديدة، والزّور تزيين الكلام وإلباسه الباطل ثوب الحقّ. ويكرر صلى الله عليه وسلم ليؤكد على أهميته وليؤكّد على خطره لأنه لا يمكن أن تصلح أمّة تشيع فيها شهادة الزّور، ويؤكّد ذلك بـ (ألا الاستفتاحية) و(ألا وقول الزّور) وظلّ يكرّرها أكثر من مرّة، وهذا التّكرار دالّ على شدّة خطرها، فالفساد الذي يصنعه قول الزّور يهدم الأمّة ويريق الدّماء بين الإخوة لذا عُدّ من أخطر الكبائر.

ومن الأحاديث القدسية التي وُظّف فيها التّكرار قوله صلى الله عليه وسلم: «**يا ربِّ أمَّتي أُمَّتي فيقول انطَلِق فأَخْرِجْ منْ كان في قَلْبِهِ أدْنى أدْنى مثْقالَ حَبَّة خرْدَلٍ من إيمانٍ فأَخْرِجهُ منَ النَّارِ من النَّارِ من النارِ**». [29]

إنّ الحديث من الغيبيات يخبر به النّبي أصحابه عن الشّفاعة يوم المحشر عندما يكون الناس في هرج ومرج والخوف يملأ قلوبهم، فيذهبون إلى النّبي الأميّ يستشفعونه، فيستأذن ربّه فيأذن له ويقول له: سلْ تُعْط واستشفِعْ تشفع، فيقول: (أمّتي أمّتي)، مكرّرة مرتين، طالبا الشفاعة لها وتأكيد للطلب، ويعلّق صاحب فتح الباري على التّكرار الوارد في هذا النّص قوله(أدنى أدنى) بأنّه تكرير للتأكيد، وكذلك التّكرير في قوله(فأخرجه من النار من النار من النار) للتأكيد أيضا للمبالغة يبدأه بالتضرّع إلى الله حبّا لأمّته وخوفا عليها من العذاب.

5.3.الاعتراض:

والاعتراض من علائق الإطناب وهو أن يأتي المتكلّم في أثناء الكلام، أو بين كلامين متّصلين في المعنى بجملة لأغراض بلاغية، ويعرفه القزويني بأنّه ما «يُؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة؛ لنكتة بلاغية كالمبالغة»[30].

ومن مواضع الاعتراض في الأحاديث النّبوية الشّريفة قوله صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ اللهَ عزّ وجلَّ لا يَنامُ ولا ينامُ ولا ينبغي لهُ أنْ ينامَ يخْفِضُ القِسْطَ ويرْفَعُه يُرفَع لهُ عَمَلُ اللّيلِ قبلَ عَمَل النَّهارِ، وعَمَل النّهارِ قبلَ عمَلِ اللّيلِ حجابه النّور».**[31]

جاء هذا الحديث في وصف الله تعالى، الذي ليس كمثله شيء، يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار، له صفات خاصّة لا تتوافر في أحد من مخلوقاته، فهو عزّ وجلّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام؛ لأنّ النّوم دليل على الضّعف، والجملة (ولا ينبغي له أن ينام) جملة معترضة واردة على التّتميم صونا للكلام عن المكروه؛ فإنّ قوله (لا ينام) لا ينفي جوار النّوم، كما قال الأشرف، فعقّب به لدفع ذلك التّجوّز ومعنى (لا ينبغي) لا يصحّ، ولا يستقيم النّوم؛ لأنّه مُنافٍ لحال رب العالمين".[32]

ومن شواهد الاعتراض في حديثه صلى الله عليه وسلم: **«لاَ يزْني الزّاني حين يَزْني وهُوَ مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حينَ يَشْرَبُ وهُوَ مُؤمنٌ، ولا يَسْرِقُ السّارِقُ حينَ يَسْرِقُ وهوَ مؤْمِنٌ ».**[33]

قال النّووي في شرح هذا الحديث "فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله...كما يقال: لا أعلم إلاَّ ما نفعَ ولا مالَ إلا الإبلَ ولا عيشَ إلا عيشَ الآخرةِ. وقوله (وهو مؤمن) في الجمل الأربعة جملا حالية اعتراضية وفائدتها «سلب الإيمان الكامل بهذه المعاصي ... والغرض إنذار السّامع بزوال إيمان من استمرّ على هذه المعاصي بالدّوام»[34] فالإطناب باعتراض كما جاء في الشواهد النّبوية لم تكمّل المعنى فحسب، بل أضفت ظلالا من الجمالية.

6.3.التّتميم:

وهو إتيان في الكلام لكلمة أو عبارة توضّح أو تكمّل ما سبقها «وقد عرّفه بعض رجال البديع بقوله: "والتّتميم عبارة عن الإتيان في النّظم والنّثر بكلمة، إذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه».[35]

ومن شواهده في الحديث النّبوي ما رواه عبد الله بن عمرو أنّ الرسول مرّ بسعد وهو يتوضّأ، فقال: «**ما هَذا السَّرَفُ يا سَعْدُ؟ قال: أفي الوُضوءِ إسْرافٌ؟ قال: نعمْ، وإنْ كُنْتَ على نَهْرٍ جارٍ**»[36].

في هذا الحديث يستفهم الرسول الكريم أحد الصّحابة وهو يتوضّأ استفهاما إنكاريا عن طريقة وضوئه مستنكرا إسرافه للماء؛ فمن المعلوم أنه من السّنة والغسل أن يكون ثلاث مرّات، حتى يتأكّد الإنسان من طهارة ما يغسل، وما زاد على المرّات الثلاثة التي عمّت العضو كلّه أو البدن كلّه كان إسرافا منهيا عنه بالنّصوص.

(وإن كنتَ على نهرٍ جارٍ) تتميم لإرادة المبالغة فيما ذُكر؛ أي: نعم ذلك تبذير وإسراف فيما لم يتصوّر فيه التّبذير، فكيف بما تفعله؟ ويحتمل أن يراد بالإسراف الإثم[37].

7.3. الاحتراس:

ويقال له التّكميل، وهو أن يُؤتى بكلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإيهام[38]، وفائدته البلاغية «إطلاق الحكم وتوسيعه، بحيث يصبح شاملا ومبسوطا».[39] ومن أمثلتها في الحديث النّبوي الشريف على لسان إحدى النّسوة من حديث أمّ زرع، حيث وصفت زوجها فقالت: «المسُّ مسُّ أرنبٍ، والرّيحُ ريحُ زَرْنَبٍ، وأَغْلِبُهُ والنّاسَ يَغْلِبُ»[40].

فهذه المرأة المحبة تصف زوجها، وتكنّ عن حسن خلقه ومعاشرته باللّين لها وتضيف (وأَغْلِبهُ والنّاسَ يغلب) احتراس حسن، لأنها لو سكتت على قولها(وأغلبه) لقيل لها: إن رجلا تغلبه امرأة لمغلَّب ضعيف، فاحترست من ذلك وقالت (النّاسَ يغلب) فناسبت بين قرائنها بجملة تتضمّن معنى الاحتراس، ممّا يتوجّه على معنى المدح من الدّخل الذي ينقص به المعنى[41].

ويوظف الضّرب الإطنابي في الجملة المحترس بها الماثلة في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «**منْ قالَ أشْهدُ أن لا إلهَ إلاّ الله وإني محمد رَسولُ اللهِ، لا يَلْقَى اللهَ بهِما عَبْدٌ غيرُ شاكٍّ فيُحْجَبُ عن الجنّةِ**[42]».

لا شكّ أنّ هذه الكلمة وهي كلمة التّوحيد (لا إله إلا الله) هي أساس الدّين وهي الرّكن الأوّل من أركان الإسلام. مع شهادة أنّ محمدا رسول اللّه؛ وفي الصّحيحين عن النّبي صلى الله عليه وسلّم قال: «**ما من أحد يشَهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ اللهَ وأَنّ مُحمّدا رسول الله صادقا من قلبه إلا حَرَّمهُ اللهُ على النّارِ**»[43].

فهذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها إلا إذا عرف مدلولها نفيا وإثباتا، واعتقد ذلك وعمل به. فمحال أن يدخل النّار من تحقّق بحقيقة هذه الشّهادة، وحتّى لا يعتقد المستمع أنّ ذلك محصور في التّرادف تمّ الاحتراس بقوله (غير شاك) حفاظا على المعنى من كل ما يفسده ويغيّره.

ومن صور الاحتراس في الحديث النّبوي دعاؤه صلى الله عليه وسلم بلفظ: «**اللّهم إنّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدا لنْ تُخْلِفَنِيهِ، فإنّما أنا بَشَرٌ، فأيُّ المُؤمنين آذَيْتُهُ، شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُه ، فاجْعَلْها لَه صلاةً وزكاةً، وقُرْبَةً تُقرِّبهُ بها يومَ القِيامةِ**»[44].

يتبيّن من خلال الحديث الشريف شفقة رسول الرّحمة: ﴿**وما أَرْسَلْناكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمينَ**﴾ الأنبياء:107 ...على أمّته والاعتناء بمصالحها ورغبته في منفعتهم؛ فالرّسول الكريم احتراسا وتأدّبا مع الله بقوله: «**إنّما أنا بشر**» لأنّ من لوازم البشرية الغضب المؤدّي إلى ذلك؛ يرجو منه أن يجعل دعاءه على أيّ مؤمن (شتمه أو لعنه أو جلده) رحمة له وكفّارة وزكاة يوم القيامة.

8.3.الإيغال:

عدّه قدامة من باب ائتلاف القافية مع سائر البيت قائلا: «الإيغال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تامّا من غير أنّ للقافية فيما ذكره صنع ثمّ يأتي بها لحاجة الشّعر في أن يكون شعرا إليها فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت، كما قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبائِناَ وَأَرْحُلِنا الجَزْعِ الّذي لمْ يُثَقَّبِ»[45]

وتحدّث عنه القزويني في الإطناب، الذّي جعله أحد أقسامه قائلا عنه: «الإيغال هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بغيرها كزيادة المبالغة في قول الخنساء:

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ كأنّهُ عَلَمٌ في رَأْسِهِ نارُ

لم ترض الشاعرة أن تشبه صخرا بالجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نارا[46]. وذلك لشدّة إيغالها في مدحه وشهرته، وقيل لا يختصّ هذا النّوع بالشّعر، فهو يأتي في النّثر أيضا.

وندرك هذا النّوع من الإطناب في النّظم النّبوي مثل حديثه صلى الله عليه وسلم: «**وإنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، ونِعْمَ صاحِبُ المُسْلِمِ هُو لِمَن أعْطاهُ المِسْكينَ واليَتيمَ وابْنَ السَّبيلَ، فمنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ في حَقِّهِ، فَنِعْمَ المَعُونَةُ هُوَ، ومنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كانَ كالذِّي يَأْكلُ ولا يَشْبع، ويَكُونُ عليهِ شهيدا**»[47].

يبيّن صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنّ المال مرغوب من النّفس البشرية، وتحرص عليه كما تحب الفاكهة الحلوة المذاق، والنباتات الخضراء الجميلة المنظر ومن رُزقه فأخرج منه زكاة ماله على اليتيم والمسكين وابن السبيل، فهو نعم الصاحب الذي يكون له شاهدا يوم القيامة، وأما من أخذه بغير حقّه فإنّ البركة تنزع منه، وتسلب القناعة من قلب صاحبه، ولو أُعطي كنوز الأرض فهو كالذي يأكل ولا يشبع، ويأتي يوم القيامة بحرصه وإنفاقه فيما لا يرضي الله.

ويأتي الإيغال في قوله صلى الله عليه وسلم: «**ويكون شهيدا عليه يوم القيامة**»، حيث استوفى المعنى قبل بلوغ مقطعه، ثمّ أتى بالمقطع فزاد معنى آخر أكّد به خطأ أخذ المال بغير حقّه، وبيّن خطره في الدّنيا والآخرة.

ومن أحاديثه صلى الله عليه وسلم الحائزة على الإطناب في قوله: «**منْ قَتَلَ مُعاهِدًا لَمْ يُرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ من مسيرَةِ أَرْبَعينَ عامًا**»[48].

يعطي الإسلام حُرمةً وعهد أمان لمن يدخل في بلاد الإسلام من غير المسلمين، لذا يحذّر النّبي الكريم من نقض هذا العهد بالاعتداء أو ظلم هذه الأنفس الآمنة في بلاد الإسلام، ويتوعّده بوعيد عظيم وهو حرمانه من الجنّة بقوله (لم يرح رائحة الجنّة، وإنّ

ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما. وفي الجملة الأخيرة «وإنّ ريحها توجد من مسيرة أربعين سنة» إطناب إيغال، وهي المبالغة في حرمانه من الجنّة وعدم دخولها جزاءً وفاقا.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم أنّه نهى عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخِيف منه فتنةً على الممدوح، وذلك عندما مدح رجل رجلا عند النّبي؛ قال: «**ويحَكَ؟ قَطَعْتَ عُنُقَ صاحِبِك، قَطَعْتَ عُنُقَ صاحبكَ مِرارا. إذا كانَ أَحَدُكم مادِحًا لا محالةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلانًا واللهُ حسيبُهُ ولا أُزَكِّي على اللهِ أَحَدا أَحْسِبُهُ–إِنْ كانَ يَعْلَمْ ذاكَ –كذا وكذا»**.[49]

فالنّبي صلى الله عليه وسلم يوجّه الكلام للمادح مؤنّبا: قطعت عنق صاحبك أي: أهلكته والهلاك المقصود هلاك في الدّين وخسارة الآخرة، مكرّرا عدّة مرّات تنبيها وتحذيرا، فإذا كان لا بدّ من المدح لأنّ المقام يقتضي الثّناء، فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أزكّي على الله أحدا، فليقتصر على وصفه بما يعلم. وجملة (إن كان يعلم ذاك كذا وكذا) إيغال أفاد المبالغة في التحقيق وتحرّي الدّقة في صدق ما مدح به صاحبه، مع حمل ذلك على الظّن بقوله (أحسب كذا).

4. خاتمة:

استعمل العرب أسلوب الإطناب، وكذلك القرآن الكريم وحديث الرسول الكريم؛ استعمله لأغراض شتّى ولغايات متنوّعة؛ من أجل تعليم الأمّة وإرشادها بالتّرهيب مرّة وبالتّرغيب مرّة أخرى وتحذيرها مما يغضب ربّها لجعلها خير أمّة أُخرجت للعالمين. وقد تنوّع الإطناب عنده صلّى الله عليه وسلّم؛ فكان التّكرار يليه الإيضاح بعد الإبهام، ثم ذكر الخاص بعد العام، كما وظّفت أنواع الإطناب الأخرى كالتّتميم والاحتراس والاعتراض وذكر العام بعد الخاص؛ برزت من خلالها أغراض بلاغية كثيرة وخصائص جمالية فريدة تفرّدت بها لغة الحديث النّبوي الشريف من غيرها.

5–الهوامش:

[1]مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (د.ط)، دار الكتاب العربي،2005م، ص195.

[2]أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، ط1، المكتبة العصرية هنداوي، بيروت، (د.ت)، ص206.

[3]جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، سنة 1414هـ، 562/1.

[4]ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ط2، دار النهضة، مصر، 2/

[5]أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، 1419هـ.

[6]السابق، ص191.

[7]ينظر: يوسف السّكاّكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، 277/1.

[8]وفاء فيصل، الإطناب في القرآن الكريم –أنماطه ودلالاته-، جامعة الموصل، 2003 ،دكتوراه، ص100.

[9] ينظر أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص202-203.

[10]جعفر باقر الحسيني، أساليب المعاني في القرآن، ط1، مؤسسة بوستان كتاب، 1428ق.1386ش، ص488.

[11]محمد ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت)، ص 1101 رقم3314.

[12]الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع الحواشي إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص151.

[13]الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء الكتب العربية ودار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ص1021، رقم2128.

[14]شريف الدين الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تق: عبد الحميد هنداوي، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، 1997م، ص108، رقم الحديث 3524.

[15]عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، ط17، 2005، 347/2، وينظر: توفيق الفيل، بلاغة التراكيب في علم المعاني، (د.ط)، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت)، ص258.

[16]ابن ماجة، سنن ابن ماجة رقم 3678.

[17]الإمام مسلم، صحيح مسلم، ص 670، رقم 1466.

[18]جلال الدين السيوطي، التّحبير في علم التفسير، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996م، ص109، وينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة.

[19] الإمام مسلم، صحيح مسلم، ص 1250، رقم2719،وصحيح البخاري رقم 6398.

[20] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر 28/3 ، و القزويني، الإيضاح، ص197، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379 ،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح وإشرف: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 198/11.

[21] القزويني، الإيضاح، ص200-202.

[22]عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2009م، ص190.

[23] السابق، ص199.

[24]الإمام مسلم، صحيح مسلم، ص70 رقم 130.

[25]يحيى بن شرف الدين النووي، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث النووية، ط4، مكتبة دار الفتح، دمشق، توزيع الكتب الإسلامي، بيروت، 1974، ص 101.

[26]ابن أبي الاصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تق: حفني محمد شرف، (د.ط)، أشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، (د.ت)، ص388.

[27] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، 03/3.

[28] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري(المسند الصحيح)، شرح وترقيم وإخراج: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ط1، 1400، ج 4، ص87، رقم 5976.

[29]البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص405، رقم7510، وصحيح مسلم ص107 رقم 193.

[30]جلال الدين الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، 1904م، ط1، ص231.

[31]سنن ابن ماجة، ص70، رقم الحديث195.

[32] الطيبي، شرح الطيبي،1/239-240.

[33]البخاري، صحيح البخاري، ص201، رقم 2475.

[34] ينظر: سيدي محمّد حبيب الله الجكني، زاد المسلم فيما اِتّفق عليه البخاري ومسلم، دار الفكر، القاهرة، 1981م، ص385.

[35]عبد العزيز عتيق، علم البديع، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص118.

[36] ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ص147، رقم425.

[37]الطيبي، شرح الطيبي، 306/3.

[38]ينظر التلخيص، ص229.

[39]مختار عطية، علم المعاني، دلالات الأمر والنهي في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص383.

[40]البخاري، صحيح البخاري، ص383، رقم 5189.

[41]ينظر السيوطي، تحرير التحبير، ص247.

[42]الإمام مسلم، صحيح مسلم ص37 رقم27.

[43]الإمام مسلم، صحيح مسلم ص34 رقم 32.

[44]صحيح البخاري، ج4، ص164، رقم6361.

[45]قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (337هـ)، نقد الشعر، طبعة الجوائب – قسطنطينية، 1302هـ، ط1 ص63.

[46]ينظر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 153-154.

[47]البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص453، رقم 1465.

[48]البخاري، صحيح البخاري، ج2 ص409، رقم3166.

[49]الإمام مسلم، صحيح مسلم، ص 1365، رقم.3000

6- قائمة المصادر والمراجع:

1.المؤلفات:

- ابن أبي الاصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تق: حفني محمد شرف، أشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، (د.ت)، (د.ط).
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح وإشراف: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (المسند الصحيح)، شرح وترقيم وإخراج: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ط1، 1400.

- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، 1419هـ.
- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية هنداوي، بيروت، (د.ت)، ط1.
- الامام مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تق: محمد فؤاد عبالباقي، دار إحياء الكتب العربية ودار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م.
- توفيق الفيل، بلاغة التراكيب في علم المعاني، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)،(د.ت).
- جعفر باقر الحسيني، أساليب المعاني في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب، ط1. 1428ق، 1386ش.
- جلال الدين السيوطي، التحبير في علم التفسير، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م.
- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، سنة 1414.
- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع الحواشي إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
- الخطيب القزويني، شرح التلخيص في علوم البلاغة، شرح وإخراج: محمد هاشم دويردي، منشورات دار الحكمة، دمشق، ط1، 1997م
- سيدي محمد حبيب الله الجكني، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، دار الفكر، القاهرة، 1981م.
- شريف الدين الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط1، 1997م.
- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ط2.
- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)،(د.ت).
- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2009م.
- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح.مكتبة الآداب، ط17، 2005م.
- قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (337هـ)، نقد الشعر، طبعة الجوائب – قسطنطينية، ط1، 1302هـ.
- محمد ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية،(د.ت).
- مختار عطية، علم المعاني، دلالات الأمر والنهي في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص383
- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، (د.ط)، 2005م.
- يحيى بن شرف الدين النووي، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث النووية، مكتبة دار الفتح، دمشق، توزيع الكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1974.
- يوسف السّكاّكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.

2.الرسائل الجامعية:

- وفاء فيصل اسكندر، الإطناب في القرآن الكريم –أنماطه ودلالاته- جامعة الموصل، 2003.(دكتوراه).